الحياة البيتية

للنبي ﷺ

تأليف الفقير لعفو ربه

خالد بن عبد الرحمن الشايع

مصدر هذه المادة:



دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسم على المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلم تزل سيرة نبينا محمد ﷺ محلاً لعناية أمة الإسلام جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد آخر، كما أنها لم تزل مورداً عذباً ومعيناً صافياً لاستلهام الدروس والعبر في مختلف المجالات: عقيدة وشريعة ومنهجاً وتربيةً وسلوكاً، وكان من عناية العلماء بها ما هو معلوم ومشهود بما لا يشابه هذه السيرة سيرة أحد من الخلق على الإطلاق.

وفي هذا السياق أُقدِّم هذه المقتطفات من بيت النبوة بما يظهر جوانب معينة من سيرة المعصوم ﷺ مما يتصل ببيت النبوة الوارف.

وفي هذه المجموعة التي بين يديك اقتطفت أربع مجموعات من كتابي الكبير "بيت النبوة" ونظمتها في هذه المجموعات الأربع:

١- الطفولة في حياة المعصوم ﷺ.

٢- لمحات من حياة النبي ﷺ مع بناته.

٣- لمحات من الحياة البيتية للنبي ﷺ.

٤- لمحات من زواج المصطفى ﷺ بأمهات المؤمنين.

وإني لأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه المجموعة، وأن يجعلـــها في ميزان حسناتي وحسنات والديَّ، وأسأله سبحانه أن يجعلها مُدْنيَـــةً من مرضاته وسبباً لدخول جناته. آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

خالد بن عبد الرحمن الشايع
k_shsys4@maktoob.com
تحريراً في ١٤٢٢/٦/٢٠هـ
الرياض ١١٥٧٤
ص.ب/ ٥٧٢٤٢

كيف كان عيش النبي ﷺ وأهل بيته؟

نستهل هذا الموضوع بما رواه البخاري ومسلم [١] عن أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنها قالت: "كان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار، وكان قوتهم التمر والماء".

نعم هكذا عاش نبينا محمد ﷺ، وبرغم أنه ﷺ كان عنده تسع نسوة لكن كل واحدة كان يمضي عليها الشهر والشهران لا يوقد في بيتها نار، وليس ذلك منه ﷺ تقتيراً على نفسه وأهله، أو أن الإسلام يعاف الطيبات ويسن للناس تركها، كلا وحاشا، فإن الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [٢]. ولكنه الزهد الحقيقي والرغبة فيما عند الله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ [٣].

والله تعالى قد آتى نبيه ﷺ مفاتيح خزائن الأرض كلها، فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها.

وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**» رواه البخاري [٤] ومسلم [٥].

(١) "صحيح البخاري" (٦٤٥٨). "صحيح مسلم" (٢٩٧٢).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٤) في "صحيحه" (رقم ٦٤٦٠).
(٥) في "صحيحه" (رقم ١٠٥٥).

وهذا منه ﷺ زهد في الدنيا وإعراض عنها ورغبة فيما عند الله تعالى، قال الله جل شأنه: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِـــنَ الْـــأُولَى**﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مالي وللدنيا، إنما أنا كرجل قال تحت ظل شجرة** (يعني نام في ظلها وقت الظهر) **ثم راح وتركها**» رواه الترمذي[2] وابن ماجه[3] وغيرهما.

ويبلغ زهد نبينا ﷺ في هذه الدنيا مبلغاً يبين حقارتها عنده وأنها في ذاتها ظل زائل. روى البخاري [4] ومسـلم [5] عـن أبي ذر ـــ رضي الله عنه ـــ قال: "كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينـــة، فاستقبلنا أُحُد، فقال: يا أباذر، قلت: لبيك يا رسول الله، فقـــال: «**ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً، تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار ـــ إلا شيئاً أرصده لديْن ـــ إلا أن أقول بـــه في عبـــاد الله هكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه**». ثم مشى فقـــال: «**إن الأكثرين هم الأقلُّون يوم القيامة، إلا مـــن قـــال هكـــذا، وهكذا، وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليل ما هم**».

وقوله ﷺ: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامـــة**» أي أن أصحاب الأموال الكثيرة هم الأقل حسنات يوم القيامة ولا يستثنى من ذلك إلا من وصفهم النبي ﷺ بقوله من قـــال بالمـــال هكـــذا

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٤.
(٢) في "جامعه" (رقم ٢٣٧٧) وقال: حسن صحيح.
(٣) في "سننه" (رقم ٤١٠٩) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (رقم ٥٦٦٨).
(٤) في "صحيحه" (رقم ٦٤٤٤).
(٥) في "صحيحه" (رقم ٩٤) بلفظ آخر.

وهكذا، وهو إشارة إلى إنفاق المال في وجوهه المشروعة وعدم كنزه أو البخل به، ومن قام بهذا الحق فالمال له مستحب وهو له خير.

وفي ظلال هذه المعيشة أظهر نساء النبي ﷺ في بعض الأحيان رغبتهن في تغييرها والخروج عنها، خاصة وأنهن في بيت أعظم رجل في العرب، وتتابع نساء النبي ﷺ في تلك المطالبة، وأكثرن عليه، طالبات المزيد من النفقة ومتطلعات لمتاع الدنيا، فكره ذلك منهن النبي ﷺ، ولما زدن في تلك المطالبة وألحفنَ في مسألتهن وشَدَّدْتَ هجرهن ﷺ، ولم يدخل على واحدة منهن لمدة شهر من الزمان، حتى شاع بين الناس أن النبي ﷺ طلق نساءه كلهن. ففزع أبو بكر وعمر ـــ رضي الله عنهما ـــ لهذه الإشاعة رعاية لخاطر رسول الله ﷺ، فابنة كل منهما عند رسول الله ﷺ، فذهبا يستأذنان ليدخلا عليه، وليتعرفا على حقيقة الأمر، فلما دخلا على النبي ﷺ سأله عمر: أطلقت نساءك يا رسول الله؟ قال: لا، فتنفس عمر الصعداء، لكنه رأى جَوَّ الحزن يخيم على المكان، فقال لأُكلِّمَنَّ رسول الله ﷺ لعله يضحك، فقال: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد ـــ يعني زوجته ـــ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: «**هن حولي يسألنني النفقة**». فقام أبو بكر إلى عائشة يؤدبها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقول: تسألنَّ النبي ﷺ ما ليس عنده؟!

فنهى النبي ﷺ الأبوين أن يصنعا بنتيهما شيئاً، وكانت نساؤه نادمات يقلن: والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس

عنده".

وبعد مضي شهر من هجرة النبي ﷺ لنسائه، نزلــت آيــات التخيير من عند الله تخاطبهن جميعاً أن يخترن التجرد للدار الآخــرة مع رسول الله ﷺ وأن يرضين بعيشه، وإما أن يلحقن بأهلهن حيث الملابس الحسنة والمآكل الدسمة وغير ذلك من متاع الدنيا وزينتها، وذلكم قول ربنا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْــتُنَّ تُــرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَــإِنَّ اللَّـــهَ أَعَــدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (١)، فأثرن الله ورسوله والــدار الآخرة، وعشن مع النبي ﷺ معينات على الحق راغبات في الثواب، عشن معه للجهاد والتهجد، والبذل والمواساة، والتواضع والخدمة، فأقر الله أعينهن بصحبة نبيه في الجنة كما صحبنه في الدنيا.

بوب الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ في كتاب الرقــاق مــن "صحيحه" فقال: باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا؟ ثم ساق طائفة من الأحاديث المبينة لذلك ومنها:

ما روته أم المؤمنين عائشة قال: ما شبع آل محمد منــذ قــدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض (٢).

ومنها ما روته عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: كان فراش

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨، ٢٩.
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٨٧)، ومسلم (رقم ٢٩٧٠).

رسول الله ﷺ من أَدَمٍ وحشوه ليف" [١].

وفي ضوء ما تقدم نخلص إلى جملة من الفوائد منها:

بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا والرغبة عنها، مع أنها كانت بين يديه، ولكنه رغب في الآخرة إيثاراً لها عن الدنيا، قال الله تعالى: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**﴾[٢].

ويشار ها هنا إلى أنه ﷺ مع تلك الحال التي كان عليها من الزهد في الدنيا ما كان ليضيع حاجات أهله وما يلزمهم لمعاشهم، حاشا وكلا، ويوضح هذا أنه ﷺ لما فتح الله عليه البلاد وكثرت الغنائم كان يرصد لأهله قوت سنة.

وفيه من الفوائد: بيان خطأ كثير من الناس في تطلبهم الاستكثار من الأطعمة واللباس والمراكب ونحوها، مما يفيض عن حاجتهم ويؤدي بهم إلى الإسراف؛ بل التبذير في كثير من الحالات.

والذي ينبغي على مثل هؤلاء أن يصرفوا مال الله الذي آتاهم تصريفاً وإنفاقاً سليماً راشداً، وأن يعلموا أن من إخوانهم المسلمين في كثير من بقاع الدنيا من لا يجد ما يقيم أَوَدَه ويدفع عنه شبح المجاعة، علاوة على ما بهم من نوازل مختلفة ومحزنة، ولو أن المسلمين اليوم وجد بينهم التكافل على النهج الإسلامي لما صار بينهم جائع يتضور ولا محتاجٌ يتكفَّف.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٥٦)، ومسلم (رقم ٢٠٨٢).
(٢) سورة الضحى، الآية: ٤.

نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل رضاه، وأن يصلح أحـــوال المسلمين في كل مكان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أم حبيبة تعرض على النبي ﷺ الزواج بأختها

روى البخاري ومسلم ــ رحمهما الله ــ في "صحيحيهما" (١) من طريق زينب بنت أم سلمة وربيبة النبي ﷺ عن أم حبيبة بنـــت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ــ رضي الله عنها ــ قالت: دخل علـــي رسول الله ﷺ، فقلت له: هل لك في أختي بنت أبي سفيان؟ فقال: «**أفعل ماذا؟**» قلت: تنكحها، قال: «**أو تحبين ذلك؟**» قلت: لست لك بِمُخْلِية، وأحب من شركني في الخير أختي، قال: «**فإنها لا تحل لي**» قلت: فإني أخبرت أنك تخطب درة بنت أبي ســـلمة. قـــال: «**بنت أم سلمة؟**» قلت: نعم، قال: «**لو أنها لم تكـــن ربيبـــة في حِجْري، ما حلَّت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأباها ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن**».

هذا لفظ مسلم ورواه أيضاً: أبو داود والنسائي وابـــن ماجـــه وأحمد.

في هذا الموقف عدد من المسائل والفوائد، منها:

أولاً: بيان ما كان للنبي ﷺ من المحبة والإجلال والتقـــدير في نفوس زوجاته، فقد ملك قلوبهن وتعلقن به كل التعلق وفوق كـــل

(١) "صحيح البخاري" (٥١٠٦)، "صحيح مسلم" (١٤٤٩)، وأبو داود في "السنن" (٢٠٥٦)، والنسائي في "المجتبى" (٦/٩٤، ٩٥)، "سنن ابن ماجه" (١٩٣٩)، "المسند" (٦/٢٩١).

أحد، ففضلاً عن كونه رسول رب العالمين، فهو عليه الصلاة والسلام الزوج الحبيب، وهذا ما حمل أم المؤمنين أم حبيبة إلى أن تفكر في أن تَبَرَّ أختها بزوج لا يكدر لها خاطراً، ولا ينغص ليها عيشاً، ويرفعها في الدنيا والآخرة.

وقد بلغ من حب أم حبيبة وإجلالها لرسول الله ﷺ ما يبينه ما أورده أهل السير من خبر أبي سفيان لما قدم المدينة النبوية في مهمة رسمية قبل إسلامه وذلك في مدة الهدنة بين قريش والمسلمين، وفي غضون ذلك، زار بنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فلما جاءها، أراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ، فما كان منها إلا أن طوته عنه، فقال أبو سفيان: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟، قالت: بل رغبةً بالفراش عنك! فإنه فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، كذا أورد أهل السير ما هذا معناه.

والمصطفى ﷺ خير أسوة لكل زوج في التحبيب إلى الأهل والإحسان إليهم حتى يكون المرء أحب الناس إليهم، وقد بلغ التشدد والانفعال ببعض الناس إلى جعل بيوتهم كالثكنات العسكرية، فإذا دخل لا يود سماع همس، ولا رؤية عبث طفل، ولا بكاء رضيع، ولا نحو هذه الأحداث البيتية المعتادة، فإذا خرج تفتحت الأزهار وغردت العصافير وترقرق الندى.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: وقد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته ﷺ لأهله ومباسطتهن، وكذلك عن

السلف الصالح، وقد كان الإمام مالك يقـــول في ذلـــك ـــ أي في حسن عشرة الرجل أهله ـــ: فيه مرضاة لربك، ومحبة في أهلـــك، ومثراة في مالك، ومنسأة في أجلك، قال: وكان مالك يقول: يجب على الإنسان أن يتحبب إلى أهل داره حتى يكون أحـــب النـــاس إليهم. اهـــ. ملخصاً.

وهذه المسألة جديرة بالعناية لما لها من الأهمية.

ثانياً: أخت أم المؤمنين أم حبيبة المذكورة في الحـــديث والـــتي أرادت خطبتها للنبي هي عزة بنت أبي سفيان ما نبه لهذا بعض أهل العلم، وكان لأم حبيبة من الأخوات غير عزة: هند زوج الحـــارث بن نوفل، وجويرية: زوج السائب بن أبي حبيش، وأميمـــة: زوج صفوان بن أمية، وأم الحكم: زوج عبيد الله بن عثمان، وصـــخرة: زوج سعيد بن الأخنس، وميمونة: زوج عروة بن مسعود. فعدهن مع عزة سبع، ثامنهن أم حبيبة [١].

ثالثاً: في الموقف ما يدل على مشروعية عرض المرأة على الرجل الصالح من قبل وليها أو من ينصح لها، ومـــن تبويبـــات الإمـــام البخاري على هذا الحديث المذكور قوله: باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير [٢].

وهذه السنة الحسنة لها ما يشهد لها من الكتاب العزيز وعمـــل سلف الأمة، قال الله تعالى مخبراً عن عرض العبد الصـــالح بـــأرض

(١) ينظر: "فتح الباري" (١٤٢/٩، ١٤٤).
(٢) ينظر "صحيح البخاري ـــ مع الفتح" (١٧٥/٩).

مدين على موسى ـــ عليه السلام ـــ الزواج بإحدى بنتيه: ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ**﴾(١).

قال العلامة الشوكاني ـــ رحمه الله ـــ: "في هذه الآية مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل، وهذه سنة ثابتة في الإسلام" (٢).

رابعاً: قول النبي ﷺ لأم حبيبة: «**أو تحبين ذلك**» جواباً واستفهاماً لعرضها عليه الزواج بأختها، فيه التعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طُبع عليه النساء من الغيرة (٣).

لكن هذه الغيرة امحت، وتجاوزتها أم حبيبة بمقايستها المصالح، فإنها لما رأت أنها لن تسلم من ضَرَّة - بل ضَرَّات - ولن تنفرد بالنبي ﷺ، رأت أن من مصلحة أختها أن تظفر بزواج النبي ﷺ بها. وهذا ما أعربت عنه بقولها: "لست لك بمخلية، وأحب من شركني في الخير أختي".

خامساً: قول أم حبيبة هذا: "أحب من شركني في الخير أختي" قيل: المراد بالخير هو صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين، الساترة لما لعله يعرض من الغيرة التي جرت بها العادة بين الزوجات، لكن جاء في رواية البخاري الأخرى في باب ﴿**وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ..**﴾ (٤) من كتاب النكاح (١) قول أم حبيبة: وأحب من

(١) سورة القصص، الآية: ٢٧.
(٢) "فتح القدير" (٤/١٦٩).
(٣) ينظر: "فتح الباري" (٩/١٤٣).
(٤) سورة النساء، الآية: ٢٣.

شركني فيك أختي، فعرف أن المراد بالخير ذاته.

وكما حرصت أم حبيبة على أن تبرَّ أختها بـــالنبي ﷺ، فقـــد حرص علي بن أبي طالب على برِّ الهاشميات بالنبي ﷺ. يبين هذا ما رواه مسلم في "صحيحه" أن علياً قال: يا رسول الله، مالك تنـــوق (أي تختار) في قريش وتدعنا، فقال: «**وعندكم شيء؟**» قلت: نعم، بنت حمزة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها لا تحل لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة**» [٢].

سادساً: قول أم حبيبة: "فإني أخبرت أنك تخطب دُرَّة بنت أبي سلمة" وفي رواية قالت: "فإنا نُحَدَّثُ"، وفي رواية: "بلغـــني"، وفي رواية قالت: "فوالله إنا لنتحدث"، وفي رواية: "فو الله لقد أُخبرت".

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – ولم أقف على اسم مـــن أخبر بذلك، ولعله كان من المنافقين، فإنه قد ظهر أن الخبر لا أصل له، وهذا مما يستدل به على ضعف المراسيل.اهـــ[٣].

قلت: ولا تزال مثل هذه الإشاعات تُشاع عـــن كـــثير مـــن الأزواج، ولا يزال النساء أيضاً يتحرين عن أزواجهن، ما إذا كانوا سيقدمون على خطبة أو زواج، وقد يصير الخبر لـــبعض أولئـــك حقيقة،بل تجد بعض النساء أن زوجها قد خطب وتـــزوج ورزق بالذرية وهي لا تدري، ولعل سعي النساء في ذلك التحري لأجـــل

(١) رقم (٥١٠٦) (١٥٨/٩).
(٢) رقم (١٤٤٦) وذلك أن حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ورضي الله عنه، هو أخ له عليه الصلاة والسلام في الرضاع.
(٣) ينظر: "فتح الباري" ١٤٣/٩).

أن يحبطن إجراءات الخطبة قبل إتمامها، وقد يعذرن بالنظر إلى ما جُبلن عليه من الغيرة واضطرامها. وكان الله في عون الجميع وتوفيقهم للخير.

رابعاً: ولعل سائلاً يقول: كيف عرضت أم حبيبة أختها ليتزوجها رسول الله ﷺ مع أن من المعلوم لدى كل مسلم ومسلمة تحريم الجمع بين الأختين، هل خفي عليها ذلك أم ماذا؟

فيقل: إن هذا العرض من أم حبيبة كان قبل نزول آية التحريم، وهو قوله تعالى في شأن من يحرم الزواج بهن من النساء ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ**﴾ (١).

وقيل: بل كان بعد نزول الآية، ولكن ظنت أم حبيبة أن من خصائص النبي ﷺ أن له الجمع بين الأختين، بناءً على ما بلغها من عزم الرسول ﷺ على الزواج ببنت زوجته دُرَّة بنت أم سلمة، وهي تعلم أن ذلك غير جائز، فكأنها قالت: إن كان للرسول أن يفعل ذلك، فهي خصوصية، لأن تحريم الزواج ببنت الزوجة على التأبيد، وأما تحريم الزواج بأُخت الزوجة فمحصورة في الجمع فقط، وهذا أخف وليكن من الخصائص بطريق الأولى.

فأجابها النبي ﷺ بأن ذلك لا يحل، وأن الذي بلغها من ذلك ليس بحق، وأنها تحرم عليه من جهتين. هذا معنى ما ذكره الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ (٢).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.
(٢) ينظر: "فتح الباري" (١٤٣/٩).

ثامناً: في قول المصطفى ﷺ: «**لو أنها لم تكن ربيبة في حجري ما حلت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة**» المعنى: لو افترض عدم كونها بنت زوجة أم سلمة، أو أن الرسول ﷺ لم يتزوج أم سلمة، فإنها من جهة ثانية محرمة بالنظر لكون أبيها أخاً للرسول ﷺ من الرضاعة، فكان عليه الصلاة والسلام عمها بالرضاعة فكيف يتزوجها؟!.

والربيبة: هي بنت امرأة الرجل من غيره، مشتقة من الرب، وهو الإصلاح، لأنه يقوم بأمرها [١].

والذي يظهر أن أولاد أبي سلمة كل منهم كان ربيباً في حجر المصطفى ﷺ عمر، وزينب رواية هذا الخبر عن أم حبيبة، ودُرَّة التي قيل إنها مخطوبة.

وقد جاء النص على تحريم الزواج بالربيبة في قوله تعالى: ﴿**وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾ [٢]، وجمهور الأئمة على أن الربيبة حرام، سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره، قالوا: وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له [٣].

تاسعاً: قول النبي ﷺ: «**إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأباها ثويبة**».

---

(١) ينظر: "مختار الصحاح" (ربب)، و"الفتح" (١٤٤/٩).
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.
(٣) ينظر: "تفسير ابن كثير" (٢٥١/٢) ط السلامة.

نبه أهل العلم ونصوا على مراضع رسول الله ﷺ، فـأول مـا استرضع عليه الصلاة والسلام لدى ثويبة المذكورة هنا ، ثم أرضعته وحضنته حليمة السعدية نحواً من أربع سنين، ويالسعادها.

أما ثويبة [١] فقد أرضعته أياماً.

وثويبة هذه مولاة أبي لهب، وقد أرضعت النبي ﷺ بلبن ابن لها يقال له مسروح، وأرضعت أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، فحمزة عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، ولأجل ذلك لما قال علي ـــ رضي الله عنه ـــ يا رسول الله مالك تنـوق (يعـني تتخير) في قريش ودعنا (يعني يدع الزواج من الهاشميات) فقال عليه الصلاة والسلام: «**وعندكم شيء؟**» قال علي: نعم، ابنة حمزة، قال رسول الله ﷺ: «**إنها لا تحل لي إنها ابنة أخي من الرضاعة**».

وقد جاءت بعض الآثار التي تبين إرسال النبي ﷺ الصلات والكسوة من المدينة إلى ثويبة وهي بمكة، براً منه وإحساناً، حتى جاءه خبر وفاتها سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها مسروح قبلها.

ولنختم هذه السطور بترجمة لأمنا الكريمة أم حبيبة التي روت لنا الحديث الذي كان موضوع بحثنا السابق.

فأم حبيبة ـــ رضي الله عنها ـــ اسمها: رملة، وقيل: هند، لكن الصحيح المشهور [٢] رملة، بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية، أسلمت إبان مكث النبي ﷺ بمكة بعد ابتعاث الله

(١) "الإصابة" (٥٤٨/٧) رقم (١٠٩٦٤).
(٢) "تهذيب الأسماء واللغات" (٣٥٩/٢).

له، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، الذي كان مسلماً، ثم تَنَصَّر هناك ومات عنها.

ولما ضاق بها الأمر واشتدت عليها الحال جاءها البشير بخطبة النبي ﷺ لها، موكلاً عمرو بن أمية الضمري، وقدم صداقها ودفعه لها النجاشي من عنده بِرًّا ومحبة لرسول الله ﷺ، وكان قدره أربعمائة دينار، مع أشياء من الهدايا وطيب الحبشة وعودها ونحو ذلك(١).

فكانت بذلك أكثر نساء النبي صداقاً.

وولي نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص.

ولما بلغ الخبر أبا سفيان بمكة امتدح النبي ﷺ بأنه كفء كريم لا يُرد، قال ذلك وهو على كفره، وأصدق الثناء ما قاله الأعداء.

وبقيت حبيبة بالحبشة هي وابنتها بنت عبيد الله بن جحش بضع سنين، وقدمت إلى المدينة النبوية المنورة سنة سبع من الهجرة مع من قدم من مهاجرة الحبشة، مع سفير النبي ﷺ شرحبيل بن حسنة الذي توجه إلى هناك ليعود بمن بقي في الحبشة من المهاجرين الأولين، حيث حملهم في سفينتين(٢).

فقرت عينها وابتهجت نفسها وسُرَّ خاطرها برؤية الرسول

---

(١) انظر: "سير أعلام النبلاء" (٢/٢١٩).
(٢) "تراجم سيدات بيت النبوة" (ص٣١٩)، و"سيرة ابن هشام" (٤/٣)، و"تاريخ الطبري" (٣/٨٩).

الأمين والزوج الكريم ﷺ.

وهكذا انضمت أم المؤمنين أم حبيبة لكنف البيت النبوي وهي تدنو من عامها الأربعين زوجة للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وأماً للمؤمنين، وكانت وفاتها في خلافة أخيها معاوية ــ رضي الله عنه.

كانت ــ رضي الله عنها ــ من سادات النساء حرمة وجلالاً ووقاراً وديناً.

روت عن النبي ﷺ خمسة وستين حديثاً. وكانت معلمة للناس مبلغة لهم ما سمعت.

روى البخاري ومسلم[1] عن زينب بنت أم سلمة أنها قالت: دخلت على أم حبيبة حين توفي أبوها أبو سفيان فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة - خلوق أو غيره - فدهنت منه جارية، ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تَحُد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربع أشهر وعشراً**».

وروى مسلم [2] عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بني له بيت في الجنة**»، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

---

(١) "صحيح البخاري" (١٢٨٠)، "صحيح مسلم" (١٤٨٦).
(٢) "صحيح مسلم" (٧٢٨).

رضي الله عنها وأرضاها، ووفقنا جميعاً لما فيه رضاه.

التعامل بين الزوجين

مع مقتطف بهيج من بيت النبوة، وذكر ما فيه من فوائد ودروس وعبر.

ونستهله بما رواه أبو داود(١) وغيره بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من وَرِق "وهي خواتم كبيرة من فضة يتختم بها النساء" فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما هذا يا عائشة؟**» فقلت: صنعته أتزين لك يا رسول الله، قال: «**أتؤدين زكاهن؟**» قلت: لا، أو ما شاء الله، قال: «**هو حسبك من النار**».

هذا الحديث فيه بيان لجانب من الحياة البيتية للنبي ﷺ، وقد تضمن عدداً من المسائل والفوائد، ومن ذلك:

* فيه بيان ما كانت عليه أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ من الحرص على مراعاة جانب النبي ﷺ، وألا يجد منها إلا كل جميل وطيب، ولذا كانت تحرص على أن تتزين لرسول الله ﷺ بما جرت عادة النساء أن يتزين به.

وفي هذا تنبيه للمتزوجات أن يحرصن على التَّزين لأزواجهن بما أباح الله، وكان من نصيحة أم المؤمنين لامرأة سألتها عن التزين للزوج أن قالت: أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة، وإذا أمرك فتطيعينه، وإذا اقسم عليك فأبري به،

(١) في "سننه" (رقم ١٥٦٥).

ولا تأذني في بيته لمن يكره". رواه عبد الرزاق في "المصنف".

وبالجملة، فالذي ينبغي على المسلم والمسلمة أن يراعيا ويعتنيا بالنظافة الشخصية والهيئة الحسنة والرائحة الطيبة.

وقد يغفل بعض الناس عن هدي النبي ﷺ في محبتـــه الرائحـــة الحسنة الطيبة في الجسد واللباس، فقد كان عليه الصلاة والســـلام يكره أن يجد منه أحد رائحة كريهة، ولذلك فإنه ﷺ لما أكل عنـــد زوجته حفصة ــ رضي الله عنها ــ عسلاً ذا رائحة، غار بعـــض أزواجه وكررن عليه أهن وجدن منه رائحة متغيرة ــ وكن يعلمن كراهته لذلك ــ ولكن حملتهن الغيرة على هذا القول، فحرم النبي ﷺ العسل على نفسه لأجل قول نسائه، فأنزل الله عليه قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَـــلَّ اللَّـــهُ لَـــكَ تَبْتَغِـــي مَرْضَـــاةَ أَزْوَاجِكَ﴾**(١) الآية.

وهذا ثابت في "صحيح البخاري" (٢) وغيره.

وفي "صحيح مسلم" (٣) عن شريح بن هانئ قال: قلت لعائشة: بأي شيء كان النبي ﷺ يبدأ إذا دخل بيته؟ قالت: "بالسواك".

والذي ينبغي على المسلم والمسلمة العناية بهذا الأمر، حـــتى لا يوجد منه ما يجعل جلساءه ينفرون منه ويستقذرونه، لأن بعـــض الناس يمكث أياماً والسواك وفرشاه الأسنان لا يعرفان لفمه طريقـــاً

(١) سورة التحريم، الآية: ١.
(٢) (رقم ٥٢٦٨)، ورواه مسلم في "صحيحه" (رقم ١٤٧٤).
(٣) (رقم ٢٥٣).

فيورثه ذلك رائحة كريهة وبخراً قبيحاً.

والأمر كذلك بالنسبة لنظافة الشخص وهيئته ينبغي ملاحظته واختيار الحسن الجميل بلا تكلف، ومن عناية الإسلام بذلك أمره بالوضوء للصلوات، والغسل كل جمعة، ولبس الجديد أو النظيف لها.

ومن أدلة العناية بذلك ما رواه الإمام أحمد في "المسند" [١] عن النبي ﷺ أنه قال: «**حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

وهكذا ما جاء بيانه في سنن الفطرة من الاستحداد [٢]، ونتف الإبط، وحف الشارب، والاستنجاء، وغسل البراجم [٣]، وقص الأظافر وتقليمها.

وفيما يتأكد على الزوجين في هذا الباب ما ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير قول الله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[٤] إذ قال:

أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب

---

(١) (١٢٨/٣)، والحاكم (١٦٠/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (رقم ٣١٢٤).

(٢) وهو استعمال ما يزيل الشعر النابت حول القبل، وذلك بالنسبة لكل من الرجل والمرأة، لأن ترك الشعر يسبب تجمع الأوساخ والرائحة الكريهة.

(٣) البراجم هي العقد الكائنة حول مفاصل الأصابع، ويدخل في حكمها عموم المغابن، ومسافط الأعضاء مما قد لا ينتبه لغسله فتجتمع حوله الأوساخ.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله" اهـــ.

وقال ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ: إني لأحب أن أتـــزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾.

ذكر بعض أصحاب كتب الأدب والسلوك أن امرأةً ذهبت إلى عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ تطلب طلاقها من زوجهـــا، ولما استدعاه للوقوف على سبب طلب زوجته، ولعله أن يصـــلح بينهما، وجده أشعث أغبر غير مُعْتنٍ بهندامه ولا هيئته، فعرف عمر ما كرهت زوجته منه.

فأشار إلى رجل أن اذهب به وقُصَّ شعره وقلم أظافره وألبسه حسناً وائتني به، فذهب وفعل ذلك، ثم أتاه، فأومأ إليـــه أن خـــذ بيدها، فأخذ بيدها و لم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، سبحان الله، أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟!

فما عرفته ذهبت معه، فقال عمر: هكذا فاصنعوا معهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن، كما تحبون أن يتزين لكم.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ منبهاً النساء إلى ما ينبغي عليهن في هذا الباب:

"إن المرأة تحظى عند الرجل بعد تمام خُلُقها وكمال حُسنها بأن تكن مواظبة على النظافة والزينة، عالمة بما يزيد في حسنها من أنواع الحلي واختلاف الملابس ووجوه التـــزين، ومـــا يوافـــق الـــزوج ويستحسنه في ذلك كله، ولتحذر كل الحذر من أن يقع بصره على

شيء يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة، أو تغير من شعث وغيره.

وقال بعض أصحاب كتب الأدب والسلوك:

ينبغي على المرأة أن تتجمل لبعلها، وتزيد في تحسين نفسها ما أمكن ذلك، بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ، وتزيين الألوان في البدن وما أحاط به.

أما في البدن: فبتبييض البشرة وتوريدها، وبتسويك الأسنان وتخليلها، وتنقية العين وتكحيلها، وتقليم الأظافر وتسويتها.

وأما الثياب: فبدوام نظافتها بحسب الوقت وعادة الزمان "مما جرت به عادة النساء المسلمات".

فالمرأة الفطنة الحسنة التَّبعُّل تراعي جميع ذلك وما سواه مما تتم به سعادة الزوج ومتعته، وتحرص على ألا يسبق طرف بعلها أو أنفه لحالة يذمها أو يكرهها من أجلها. وخاصة في الأوقات التي يعتاد قربه منها.

والناظر في أحوال كثير من النساء اليوم يجد غالب تزينهن إنما هو عندما يردن الخروج لمناسبة أو زيارة ونحو ذلك.

حتى إن زوجاً خاطب زوجته أن تتجمل له وتهتم به مثلما تفعل إذا أرادت الخروج، فردت عليه مندهشة: أأنت غريب عني أيها الرجل؟.

وفي هذا الباب يقع من كثير من المسلمات مخالفات شرعية

متنوعة، وأنبه لبعض منها هنا باختصار، فمن ذلك:

أن بعضهن يلبسن الثياب الضيقة أو غير الساترة، ويخرجن بهـــا إلى الأسواق، وربما زدن على ذلك كشف وجـــوههن أو بعـــض الوجه مع ظهور زينتها من كحل وغيره من طيب وعطـــر ونحـــو ذلك، وهذا نوع من التبرج المحرم.

والعجب من بعض الأزواج وأولياء الأمور أنهـــم لا ينكـــرون ذلك، مع مخالفته للستر والحشمة.

وهكذا لبس بعض النساء ملابس غير ساترة عند النساء بحيث تكشف ما جرت عادة النساء المسلمات بستره، متحججات بأنهن عند نساء مثلهن، والذي دلت عليه النصوص الشرعية أن الضـــيق والعاري لا يجوز لبسه حتى عند النساء، لما فيه من الفتنة، ولكونـــه مخالفاً لما جاءت به الشريعة من الحشمة والعفاف والحياء.

وهكذا تشبه بعض المسلمات في لبسهن بالكافرات، مما ينبغي على المسلمة أن تحذره، فقد جاء فيه الوعيد الشديد، ومن ذلـــك قوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(١)].

وهذا التشبه يورث الميل إلى الكافرات ويفضـــي إلى محبتـــهن، وهذا يعرضها لأن تحشر معهن يوم القيامة، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرء مع من أحب**»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٠)، وأبو داود (رقم ٤٠٣١)، وجود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله، وصححه الألباني في "صحيح الجامع (رقم ٦١٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٦٨٨)، ومسلم (رقم ٢٦٣٩).

وهذا عام في الرجال والنساء، وعام في محبة أهل الإيمان والصلاح وأهل الكفر والفسوق.

ومما يحزن أن تلك المظاهر تقع من بعض أخواتنا المسلمات العفيفات، اللاتي يؤمل منهن الصلاح والإصلاح، ونأمل لنا ولهن السعادة في الدنيا والآخرة.

ولو أن الواحدة منهن قارنت بين تلك المظاهر المحرمة وبين لحظات تشييعها إلى قبرها حين تلبس تلك الثياب المتواضعة وتلف فيها، والقلوب من حولها خاشعة والعيون دامعة، ولا تدري على أي حال تكون في ذلك المثوى العظيم.

روى البخاري [1] وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا وليها، أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق**».

وعوداً على الزينة والتزين فإنهما محبوبان للنفس إذا كانا بما أحل الله، وعند من أحل الله له الاطلاع عليها، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾[2]، ثم قال سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[3] إلخ الآية.

---

(١) في "صحيحه" (رقم ١٣١٤، ١٣١٦، ١٣٨٠).
(٢)سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣)سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[(١)].

وخير ما يتجمل به الشخص تقوى الله وعبادته، والأخـــلاق الكريمة، والمعاملة الحسنة.

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير.

* * *

(١)أخرجه مسلم (رقم ٩١)، والترمذي (رقم ١٩٩٩)، والحاكم (٢٦/١)، وأبو يعلى في مسنده (رقم ١٠٥٥).

نساء النبي ﷺ وأثرهن في نقل كثير من الأحكام الشرعية للأمة

كنا قد ذكرنا غير مرة أن لتعدد زوجات النبي ﷺ حكماً عديدةً وعظيمة، فقط كن أمهات المؤمنين معلمات ومفتيات لنساء الأمة ورجالها في القضايا النسائية والأحكام الشرعية والآداب الزوجية والحكم النبوية.

وكن قدوة صالحة في الخير والبر والإحسان، كما كان الرسول ﷺ أسوة حسنةً لهن في حسن الخلق والطيب العشرة.

وفيما يلي سوف نستعرض ــ بعون الله ــ بعضاً من اللمحات والدلائل التي تبين عظيم أثر أمهات المؤمنين في نقل جوانب عديدة من سنة المصطفى ﷺ وتشريع الأحكام الشرعية وتبليغها للأمة، وخاصة مما لا يطلع عليه من قبل كل أحد.

كان نساء النبي ﷺ ــ أمهات المؤمنين ــ موئلاً ومرجعاً لكثير من القضايا التي يهتم لها المسلمون وخاصة ما له صلة بأهليهم وما يتعلق بالحياة البيتية.

ومن تلك القضايا: ما رواه البخاري في "صحيحه" [(١)] أن رفاعة طلق امرأته، فتزوجها بعد الرحمن بن الزبير القرظي، فجاءت تشكو إلى عائشة حالها مع زوجها الآخر، قالت عائشة: وعليها ــ

---

(١) (٥٨٢٥) كتاب اللباس: باب الثياب الخضر. وأخرجه مسلم بنحوه (رقم ١٤٣٣).

أي تلك المرأة ــ خمار أخضر، فشكت إليها، وأرتها خضرة بجلدها ــ تعني بسبب ضرب زوجها، فلما جاء رسول الله ﷺ ــ والنساء ينصر بعضهن بعضاً ــ قالت عائشة: ما رأيت مثـــل مـــا يلقـــى المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها. إلخ الحديث.

فتبين من خلال هذا الموقف أن أمهات المؤمنين كن يستمعن إلى ما يردهن من استفتاءات وشكاوى يعرضنها على النبي ﷺ، وأن لهن أثـــراً عظيماً في نشر العلم والاهتمام بما ينفع المسلمين والمسلمات، وهكـــذا ينبغي أن تكون كل مسلمة متطلعة إلى معالي الأمور وبما يعود عليهـــا وعلى أسرها ومجتمعها بالنفع الديني والدنيوي.

وروى أبو داود [(١)] وابن ماجه [(٢)] وغيرهما عن إياس بن عبـــد الله ــ رضي الله عنه ــ قال رسول الله ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذَئِرْنَ النساء على أزواجهن "أي اجترأن ونشزن"، فرخص في ضربهن "يعني إذا دعت الضرورة ولكن ضرباً غير مبرح" فأطاف بآل رسول الله ﷺ، "يعني أحاط النســـاء بيوت رسول الله ﷺ يشكون أزواجهن عند أمهات المؤمنين" فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشـــكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم**».

وهذا يدل أيضاً على أثر أمهات المؤمنين في رفع المعاناة عـــن غيرهن.

---

(١) (رقم ٢١٤٦).
(٢) (رقم ١٩٨٥).

وفيه دلالة على النهي عن الجور والتعدي على الزوجة، وأن من استقصى في التغليظ على أهله فقد جانب وصف الخيرية.

ومما عني أمهات المؤمنين به وبتبليغه للأمة: كثير من مسائل الطهارة عموماً، والمسائل النسائية خصوصاً.

ومن ذلك: ما رواه مسلم في "صحيحه" [١] عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن عبد الله بن عمرو ــ رضي الله عنهما ــ كان يأمر النساء "أي يفتيهن" إذا اغتسلن "يعني من الجنابة" أن ينقضن رؤوسهن، فقالت: يا عجباً لابن عمرو هذا؟! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن! أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن، لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات.

وأكدت هذا الحكم وزيادة أم المؤمنين أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ إذ قالت: قلت يا رسول الله، إني امرأة أشد ضَفْرَ رأسي. أفأنقضه للحيضة والجنابة "يعني عند الاغتسال منهما"، فقال: «**لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين**»[٢].

ومما نقله أمهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن ــ من العلم: ما رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] عن معاذة بنت عبد الله أن امرأة قالت

(١) (رقم ٣٣١).
(٢) (رقم ٣٣٠).
(٣) (رقم ٣٢١).
(٤) (رقم ٣٣٥).

لعائشة: أتجزي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله.

وفي رواية قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصـــوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة".

وإنما نسبتها إلى حروراء لأنها مكان تجمع الخوارج ولهـــم آراء مبتدعة ضالة، ومنها أنهم يرون أن على الحائض قضاء الصلاة وذلك على أصلهم في رد السنة.

وكان نساء الصحابة يكثرن من اســـتفتاء أمهـــات المـــؤمنين وخاصة في مسائل الطهارة، وكن يرسلن إلى عائشة ليتبين الطهـــر، كما نقل ذلك البخاري في "صحيحه"[(١)] عن عائشة.

وبين أمهات المؤمنين جوانب من هديه ﷺ في بيته وتعامله مع أهله، ومن ذلك ما رواه مسلم [(٢)] عن أم المؤمنين عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله الـــنبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض "أي تأكل اللحم من العظم بأسنانها" ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه علـــى موضع في.

وهذا يوضح مدى تلطفه ﷺ بأهله، خاصة وأن اليهود كـــانوا

---

(١) في كتاب "الحيض"، باب إقبال المحيض وإدباره: وكن نساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة فيها الكرسف فيه الصفرة. فتقول: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء. تريد بذلك الطهر من الحيضة.

(٢) (رقم ٣٠٠).

إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها و لم يجالسوها في البيوت.

ولما بلغ اليهود هذا الهدي قالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

وأوضحت عائشة ــ رضي الله عنها ــ ما يكون من رسول الله ﷺ حينما يكون في بيته، وبينت قيامه الليل وصلاته وتهجده، وبينت جوانب عظيمة من تعامله ﷺ.

ومن ذلك ما رواه البخاري(١) عنها أنها سئلت: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله ــ تعني خدمة أهله ــ فإذا حضرت الصلاة خرج إل الصلاة".

قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ في شرحه(٢):

وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر، وخدمة الرجل أهله.

وترجم عليه المؤلف الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من "صحيحه" فقال: كيف يكون الرجل في أهله.

وروي عن عائشة أنها وصفت النبي ﷺ فقالت: "كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم، إلا أنه كان بسَّاماً".

إن هذه اللمحات من هديه ﷺ في معاملة أهله وعيشه معهم لتبين بجلاء الأخلاق الإسلامية التي ينبغي أن يكون عليها كل مسلم.

---

(١) في "صحيحه" (رقم ٦٧٦، ٥٣٦٣، ٦٠٣٩).
(٢) "فتح الباري" (١٦٣/٢).

لقد عاش رسول الله ﷺ مع أهله عيش المحب لهم الحريص على إدخال السرور على أنفسهم، وإيصال كل نفـــع وخـــير إلـــيهم، فوجدوا من غبطة العيش وسروره وأنسه وفرحه ما لا يمكن وصفه على الكمال ولا الإحاطة به على التمام.

وهذه دعوة لكل زوج وكل أسرة أن تتبصر في هـــذا الهـــدي الكريم، وأن تجعله نبراساً لها تسير مـــن خلالـــه في دروب الحيـــاة المتنوعة، وسيجد الناس من آثار الخير والبركة ما لا يخطر على البال ولا يحده الخيال.

وصدق الله رب العالمين إذ قال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـــولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّـــهَ كَثِيرًا**﴾(١).

صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. وعلى آله وأزواجـــه، ورزقنا حسن الاقتداء به. آمين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الفهرس



مقتطفات من بيت النبوة

١- الطفولة في حياة المعصوم ﷺ.

٢- لمحات من حياة النبي ﷺ مع بناته.

٣- لمحات من الحياة البيتية للنبي ﷺ.

٤- لمحات من زواج المصطفى ﷺ بأمهات المؤمنين.

صدر للمؤلف

التحقيق:

١- مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشـــرة، للحـــافظ المقدسي.

٢- تهذيب السيرة النبوية، للإمام النووي.

٣- شرح ستة مواضع من السيرة النبوية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤- القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

التأليف:

١- استدراك وتعقيب على الشيخ شعيب الأرنؤوط في تأوليه بعض أحاديث الصفات.

٢- الستر على أهل المعاصي، ضوابطه وعوارضه.

٣- مباحث في بعض مشاهد القيامة.

٤- مسائل في عذاب القبر ونعيمه والحياة البرزخية.

٥- من أحوال الناس بعد الموت.

٦- أسباب تحقيق العفاف.

٧- القنوات الفضائية وآثارها العقدية والاجتماعية والأمنية.

٨- العيد .. آداب وأحكام.

